سلسلة أمهات المؤمنين

جُوَيْرية بنت الحارث
وزينب بنت جحش

رضي الله عنهما

بقلم

سمية عبدالدليه

مكتبة العبيكان

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

لجنة التأليف والترجمة بمكتبة العبيكان

جويرية بنت الحارث وزينب بنت جحش.- الرياض.

٣٩ ص، ١٧X ٢٤ سم - (سلسلة أمهات المؤمنين؛ ٦)

ردمك: ٥ - ٧٥٩ - ٢٠ - ٩٩٦٠

١- جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، ت ٥٦هـ ٢- زوجات النبي

أ- العنوان ب - السلسلة

ديوي ٧، ٢٣٩ ٢١/٢٨١٥

ردمك: ٥ - ٧٥٩ - ٢٠ - ٩٩٦٠ رقم الإيداع ٢١/٢٨١٥

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الناشـــر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

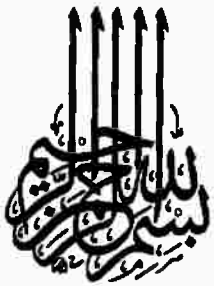
بسم الله الرحمن الرحيم

"فلا نعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها.."

أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-

سيِّدة بني المُصْطَلِق

بعد أن نصر الله عبده وأعزَّ جنده.. في غزوة بني قريظة في العام السادس للهجرة،جمع الحارث بن أبي ضرار قومه ومن قدر عليه من العرب يريدون حرب رسول الله ﷺ، فأرسل بريدة بن الحصيب ليتأكد من الخبر، فتحقق ورجع إلى النبي ﷺ، فلما تأكد النبي من صحة الخبر ندب الصحابة، وأسرع في الخروج إلى المريسيع الماء الذي عليه بنو المصطلق، فغزاهم رسول الله ﷺ ونصره الله عليهم.. وغنم المسلمون مغانم كثيرة وسبايا حسان.. كان بينهن جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق، وكانت شابة جميلة في العشرين من عمرها..

* * *

وقعت جويرية في سهم ثابت بن قيس بن شماس، وهو صحابي مجاهد أبلى بلاءً حسنًا فوقعت في سهمه سيدة قومها.

وُصِفَ جمالها بأنه يأخذ بالألباب، بينما لم يكن ثابت بن قيس –رضي الله عنه – جميل الخلقة..

فما استطاعت جويرية أن تصبر على الرق والعبودية.. ولم تصبر على صحبة ثابت – رضي الله عنه– وهذا لا يقلل من مكانته وإيمانه وثباته في

الحروب وقول الرسول ﷺ له:

«يا ثابت أما ترضى أن تعيش حميداً، وتقتل شهيداً، وتدخل الجنة»..

وأخيراً .. اتفقت جويرية مع ثابت بن قيس على حل لمشكلتها، فأسرعت إلى رسول الله ﷺ تطلب منه العون والمساعدة..

* * *

وصلت جويرية إلى بيت النبي ﷺ واستأذنت من عائشة في الدخول؛ ولما رأت عائشة – رضي الله عنها– جمالها وشبابها، حاولت منعها وكأنما شعرت بما سيحدث في المستقبل.. ولكن جويرية أصرت على مقابلة الرسول ﷺ، فما وسع عائشة إلا أن تأذن لها..

فدخلت على النبي ﷺ وسلَّمت ثم قالت:

يا رسول الله .. أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، سيد قومي، وأنا عند ثابت بن قيس، وقد كاتبته[1] على تسع أواق على حريتي وأرجو أن تساعدني..

[١] المكاتب: أن يعمل العبد أو الأمة مدة من الزمن ليجمع ثمن حريته وعتقه ويسلمه لسيده فيكون حرًا..

فقال لها الرسول ﷺ : **فهل لك خير من ذلك؟**

فقالت مستبشرة: وما هو يا رسول الله..؟!..

فقال ﷺ : **أقضي عنك كتابتك وأتزوجك..**

فقالت فرحة مسرورة: نعم يا رسول الله..

فقال النبي ﷺ : **قد فعلت..**

* * *

لقد رقَّ النبي ﷺ لجويرية وهي تعاني من ذلّ العبودية والرق بعد أن كانت سيدة قومها وهو القائل ﷺ : «**أكرموا عزيز قوم ذلّ**»

و الصحابة لما علموا بزواجه منها تركوا ما في أيديهم من الأسرى وقالوا: أصهار رسول الله يُسترقُّون؟!

فلقد أعتق الله بها مائة أهل بيت من بني المطلق.

تقول عائشة أم المؤمنين: فلا أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها.

* * *

زواج وكرامة

وكانت الفرحة بهذه الزيجة قد ملأت قلب جويرية وجوارحها.

وبنى بها رسول الله ﷺ، وأصبحت لها حجرة خاصة بجوار حجرات أمهات المؤمنين. وضرب عليها الحجاب كسائر نسائه الطاهرات.

* * *

وكأنما عزَّ على النبي ﷺ أن يقع مائة بيت من أشرف بيوت العرب في الأسر، ولكنه أراد إسلامهم فأبوا إلا الكفر والضلال، فلما عرض على جويرية أن تسلم ويتزوجها فرحت وأعلنت إسلامها على الملأ فتبعها من قومها كثيرون، وكان زواجه منها كرامة لها ولقومها، ففكَّ المسلمون أسراهم من القيد ورجعوا بعد الذلّ أعزة، وبعد المهانة كرماء.

روى صاحب المستدرك عن جويرية قولها:

رأيت قبل قدوم النبي ﷺ بثلاث ليال كأن القمر أقبل يسير من يثرب حتى وقع في حجري، فكرهت أن أخبرها أحداً من الناس حتى قدوم رسول الله ﷺ، فلما سبينا رجوت الرؤيا، فلما أعتقني والله ما كلمته في قومي حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم، وما شعرت إلا بجارية من بنات عمي تخبرني الخبر فحمدت الله عز وجل.

وقد رُوي أن أباها الحارث بن أبي ضرار جاء المدينة قبل أن يعلن الرسول ﷺ زواجه بها فقال للنبي ﷺ :

يا محمد، أصبتم ابنتي « جويرية » وهذا فداؤها، فإن ابنتي لا يسبى مثلها..

أرأيت إن خيرَّناها، أليس قد أحسنت؟..

فأجاب: بلى..

فأتاها أبوها فذكر لها ذلك فقالت: اخترت الله ورسوله..

* * *

وحدث ما توقعته عائشة في أول مرة رأت فيها جويرية، وكانت دائمًا تتذكر هذا الموقف وتتحدث عنه قائلة:

كانت امرأة حلوة ملاحة، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فأتت رسول الله تستعينه في كتابتها، فو الله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها[1].. وعرفت أن رسول الله ﷺ سيرى فيها ما رأيت..

* * *

(١) كرهتها: كره الغيرة..

جويرية مع الرسول ﷺ

لم تكن جويرية حين لحقت بحجرات أمهات المؤمنين وصارت واحدة منهن تدعى بهذا الاسم؛ فقد كان اسمها بَرَّة، وغيَّره النبي ﷺ وسماها جويرية.

وهذه منقبة عظيمة إضافة لكونها أصبحت من أمهات المؤمنين، وكانت حين تزوجت النبي ثيبًا مات عنها زوجها يوم المريسيع، وكان يسمى مسافع ابن صفوان.

وقد أسلمت مع النَّبي ﷺ وحَسُن إسلامها، وكانت تذكر الله كثيرًا من يومها وليلتها، روى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ خرج من عندها لصلاة الفجر ثم عاد بعد أن انتصف النهار فوجدها على جلستها التي تركها عليها تذكر الله فتعجَّب وقال لها: **أما زلتِ على حالك؟**

– بلى يا رسول الله.

– **لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلتِه منذ اليوم لرجحت به، قولي: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، و مداد كلماته.**

وقد ورد أنه ﷺ رآها يوم جمعة وهي صائمة فقال لها: **أصمت أمس؟**

قالت: لا

قال: **أفتريدين الصوم غداً؟**

قالت: لا

قال: **فأفطري.**

فهو يعلّمها ويعلم المسلمين أن يوم الجمعة يوم عيد للمسلمين ولا يجوز صومه منفرداً.

وذات يوم قالت لزوجها ﷺ:

- يا رسول الله، إن أزواجك يفخرن عليّ ويقلن: لم يتزوجك رسول الله.

فقال لها: **أولَم أُعظم صداقك؟ ألم أعتق أربعين من قومك؟**

وقد صبرت مع النبي ﷺ على شظف العيش وخشونته، فقد ورد بالحديث الصحيح أن النبي ﷺ دخل عليها فقال: **هل من طعام؟** قالت: لا والله يا رسول الله ما عندنا من طعام إلا عظم من شاة أُعطيته مولاتي من الصدقة.

فقال: **قربيه فقد بلغت محلها.**

وكان رسول الله ﷺ حين تزوجها أصدقها خمسمئة درهم كسائر

نسائه وضرب عليها الحجاب، وكان يقسم لها كما يقسم لسائر زوجاته.

ويوم خيبر أطعمها النبي ﷺ ثمانين وسْقًا تمرًا، وعشرين وسْقًا شعيرًا أو قمحًا، كان هذا رزقها لمدة عام.

وكانت جويرية تقف في صف أم سلمة، وكانت عائشة وسودة وصفية – رضي الله عنهن– في الصف الآخر، تجري بينهن الغيرة ولكن لا تصل إلى حدِّ الظلم والبغي والجفاء.

* * *

جويرية بعد الرسول ﷺ

كانت جويرية بعد الرسول ﷺ كما كانت معه تقية ورعة عابدة، وكانت منعزلة عن السياسة العامة للمسلمين، ولم تتدخل فيما حدث من وقائع.

وكانت في عهد عمر تنال ما ينال بقية أمهات المؤمنين من عطاء واهتمام منه رضي الله عنه؛ فقد كان كثير التفقد لأحوالهن وكما قالت السيدة عائشة، رضي الله عنها:

- كان عمر بن الخطاب يرسل إلينا بأحْظائنا (حِصصنا) حتى من الرؤوس والأكارع.

وكان عنده تسع صحاف يبعث فيها الفاكهة والجيد من الهدايا.

ولما قسم عمر خيبر قطع لها من الأرض كما قطع لأخواتها، وحججن معًا كلهن، فسيَّر معهن عثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف وأمرهما أن يسير واحد منهما أمامهن والآخر خلفهن ولا يمشي بجانبهن أحد ولا يطوف معهن أحد إلا النساء.

وكذلك لما حججن في عهد عثمان أرسل معهن جميعًا عبدالرحمن بن عوف وسعيد بن زيد.

وفاتها

عاشت جويرية حتى ماتت في عهد معاوية بن أبي سفيان في ربيع الأول سنة ست وخمسين وكان عمرها خمسًا وستين سنة، وصلى عليها عامله على المدينة مروان بن الحكم، دفنها بجوار أمهات المؤمنين بالبقيع، رضي الله عنها وأرضاها.

* * *

زينب بنت جحش

عادة جاهلية

زينب بنت جحش - رضي الله عنها- ابنة عمة الرسول ﷺ أميمة بنت عبدالمطلب، وكانت زينب شريفة عزيزة في قومها بني أسد، فهي حفيدة لعبدالمطلب سيد بني هاشم بل سيد قريش جميعًا..

وكانت زينب شابة جميلة وصفت بأنها كانت بيضاء سمينة من أتم نساء قريش..

* * *

وترتبط قصة زينب بنت جحش من رسول الله ﷺ بإبطال ظاهرة اجتماعية كانت منتشرة في الجاهلية وهي «التبنّي»، وقد أبطل الإسلام هذه العادة الاجتماعية لما فيها من مخاطر ومساوئ اجتماعية كثيرة.. فقد كان الرجل في الجاهلية يعلن أن فلانًا ابنه.. فينسب إليه ويورَّث ويعامل معَامَلة الابن من صُلْبه معاملة كاملة.. وفي ذلك كثير من المخاطر؛ إذْ يختلط هذا المدعو بنساء البيت باعتباره قد صار من أهل البيت.. وهو ليس كذلك حقيقة، إلى جانب العداوة التي قد تقع بينه وبين الأبناء من الصلب بسبب المنازعة على الميراث..

فجاء الإسلام وأبطل هذه العادة فنزل قول الله تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ**

﴿أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۝٤ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾

يقول الأستاذ سيد قطب: «شرع الإسلام ينظم علاقات الأسرة على الأساس الطبيعي لها، و يحكم روابطها، ويجعلها صريحة لا خلط فيها ولا تشويه.

أبطل عادة التبني هذه، ورد علاقة النسب إلى أسبابها الحقيقية.. علاقات الدم والأبوّة والبنوّة الواقعية»[1]

* * *

ورسول الله ﷺ هو قدوة المؤمنين بل قدوة العالمين في كل ما ينزل من عند الله من أمر أو نهي، فأراد الله عزوجل أن يكون النبي قدوة لنا في إبطال عادة «التبني» وبشكل عملي.. وذلك في قصة تبنّيه ﷺ لزيد بن حارثة وزواج زيد من زينب بنت جحش، وبعد نزول آيات تحريم التبنّي.. طلّق زيد زينب فتزوجها الرسول ﷺ بأمرٍ من الله ليبطل عمليًّا.. عادة التبني..

وقد كان لذلك قصة تستحق التأمُّل والدراسة:

---

(١) في ظلال القرآن ٥ / ٢٨٢٥.

حبُّ رسول الله

كان زيد بن حارثة بن شراحيل من قبيلة كلب التي كانت تقيم شمالي الجزيرة العربية..

خرجت به أمه سعدى بنت ثعلبة – ذات يوم – لزيارة أخواله من بني معن بن طيئ، فأغارت عليهم خيل من بني القين بن جسر، فسَبَوا زيداً واحتملوه إلى سوق عكاظ، وهناك اشتراه حكيم بن حزام بن خويلد ابن أخي أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها.

* * *

وجاءت السيدة خديجة تزور ابن أخيها حكيم، فعزم عليها أن تختار من تشاء من بين مواليه، فوقع اختيارها على «زيد» فأخذته وعادت إلى بيتها، فلما رآه سيدنا محمد ﷺ استوهبه منها فوهبته له راضية..

وعلم حارثة والد زيد باختطافه فبكاه في مرثية مشهورة يقول فيها:

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل ... أحيٌّ فيرجى أم أتى دونه الأجل

فو الله ما أدري وإن كنت سائلاً ... أغالك سهلُ الأرض أم غالكَ الجبل

وكان زيد قد لقي عند البيت الحرام نفراً من قبيلته فعرفهم وعرفوه؛

فأرسل إلىٰ والده معهم أبياتًا قال فيها:

أحنُّ إلى قـــومي وإن كنتُ نائيًـــا ... بأني قطينُ البـــيت عند المشـــاعـــر

فكفـوا من الوجـد الذي قـد شجـاكمُ ... ولا تعـــملوا في الأرض نصّ الأباعـــر

فـإني بحـمـــد الله في خـيـــر أسـرةٍ ... كـــرام مـــعـــدٍ كـــابرًا بعـــد كـــابرِ

فلما سمع أبوه الأبيات من أولئك النفر، سافر من توّه إلى مكة وجاء للنبي ﷺ فقال له:

– يا ابن عبدالله، يا ابن سيد القوم، أنت تفك العاني وترد الأمانة، وقد جئناك في أمانة لنا عندك، فإن أبيت إلا الفداء فنرفع لك الفداء.

فرأى عم زيد أن النبي ﷺ لم يفهم مقصد أخيه حارثة، فقال له مسرعًا:

– إن ولدنا زيداً عندك، كان حكيم بن حزام قد اشتراه وأهداه لزوجك سيدة مكة خديجة بنت خويلد، وقد علمنا أنه عندكم في خير منزل وأحسن حال، لكننا نرغب في ولدنا ولا نتركه عبداً ذليلاً ونحن أعزة في قومنا وسادة في معشرنا.

– فقال رسول الله ﷺ: **ادعوه فخيِّروه، فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء، وإن اختارني فو الله ما أنا بالذي أختار على من اختارني فداء.**

فقال عم زيد مستبشراً:

- قد زدتنا على النَّصَف وأحسنت.

فأتى زيد فسلم على أهله فقال له الرسول ﷺ: **هل تعرف هؤلاء؟**

قال: نعم، هذا أبي وهذا عمي.

قال: **فأنا مَنْ قد علمتَ ورأيت صُحبتي لك فاخترني أو اخترهما.**

فقال زيد: ما أنا بالذي أختار عليكَ أحداً، أنت مني بمكان الأب والأم.

عندئذ قال أبوه: ويحك يا زيد، أتختار العبودية على الحرية؟!وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك؟!

قال: نعم، إني قد رأيتُ من هذا الرجل شيئًا ما أنا بالذي اختار عليه أحداً أبداً.

فخرج به النبي ﷺ إلى الحِجر وقال:

- يا من حضر، اشهدوا أن زيداً ابني أرثه ويرثني.

فلما رأى ذلك أبوه وعمُّه طابت أنفسهما وانصرفا، فدعي زيد بن محمد حتى جاء الله بالإسلام.

وفي المدينة يقول عبدالله بن عمر:

إن زيد بن حارثة – رضي الله عنه – ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن: ﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾.

وقد نزل بعد ذلك قول الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾

فقال له رسول الله ﷺ: «**أنت أخونا ومولانا**»

كانت زينب بنت جحش شابّة حسناء أصيلة شريفة عزيزة في قومها بني أسد، فهي حفيدة لعبدالمطلب سيد بني هاشم، بل سيد قريش جميعها، فأمها أميمة بنت عبدالمطلب عمَّةُ النبي ﷺ.

فلما اختار زيد رسول الله ﷺ وفضله على قومه وعشيرته؛ أراد أن يكرمه ويزوجه من خيرة النساء كما يفعل كل والد مع ولده، فاختار له زينب بنت جحش، فهي بنت عمته وبنت عبدالمطلب بن هاشم، وسابقة إلى الإسلام، وأخواها عبدالله وعبيدالله سابقان للإسلام[1]، فخطبها لزيد، فإنه كان يحبه حبًّا عظيمًا.

قال ابن عمر لوالده:

– فرضت لأسامة بن زيد أكثر مما فرضته لي من عطاء بيت المال؟

(١) تنصر عبيدالله بن جحش بعد الهجرة للحبشة ومات على النصرانية.

فقال عمر: إنه كان أحب إلى رسول الله منك، وكان أبوه أحب إلى رسول الله من أبيك.

وأراد الله أن يمهد لإبطال عادة التبني - كما سبق- فألهم الرسول أن يُزوج زيداً لزينب بنت جحش، وكرهت ذلك في نفسها اعتزازاً منها وزيد ما هو إلا واحد من رقيق النبي، ولكنها قبلت نزولاً عند قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾.

قال ابن عباس:

انطلق رسول الله ﷺ ليخطب على فتاه زيد بن حارثة رضي الله عنه، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية فخطبها فقالت:

يا رسول الله، أؤمر في نفسي؟ فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية.

قالت: يا رسول الله، قد رضيته لي زوجاً؟

قال: **نعم**.

قالت: **لا أعصي رسول الله، وقد زوجته نفسي**.

وتم الزواج... رضيت به زينب طاعةً لله ورسوله وتطبيقًا لمبدأ قرره

الإسلام، ألا وهو مبدأ «لا تفاضل إلا بالتقوى» تطبيقًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

وكان مهرها عشرة دنانير، وستين درهماً، وخماراً، وملحفة، ودرعاً، وخمسين مداً من طعام، وعشرة أمداد من تمر.

وكان هذا الزواج بالنِّسبة لها طاعةً وتنفيذاً لأمر ليس إلا، لكنها لم تكن ترتاح لزوجها رغم أنها تؤدي ما عليها تجاهه من حقوق، ولكن زيداً أحسّ بشيء من الجفاء لم يستطع احتماله.

ولم يسكت وأخبر حبيبه رسول الله ﷺ فكان يأمره بالصبر ويقول له:

- **أمسك عليك زوجك واتقِ الله.**

قال: يا رسول الله، أودّ مفارقتها.

قال: **احبس عليك زوجك.**

لكن زيداً لم يطق صبراً على العيش معها، فطلقها، بعد أن عاشت معه سنة، وكان زيد يعلم أن زينب لا تحبه فلم يرد بناء بيته على حساب تعاسة الآخرين.

وهذه هي القصة الحقيقية لطلاق زيد لزينب وليس ما يرويه ويروجه بعض ضعاف النفوس والمستشرقين وأعداء الإسلام من أن النبي ﷺ رأى

زينب فأعجبته، فعلم زيد بذلك فطلقها ليتزوجها رسول الله ﷺ، فهذه القصة باطلة وكذب يكذبها القرآن والعقل والمنطق، إذ كيف لا يعرف رسول الله شيئًا عن زينب وهي ابنة عمته آمنت به وهاجرت معه إلى المدينة ولم يكن نزل الأمر بالحجاب!

وقد كذب علماء المسلمين هذه القصة ومنهم ابن كثير – رحمه الله – في التفسير.

* * *

خطبة رسول الله ﷺ من زينب والحكمة في ذلك

وهكذا انتهت الحلقة الأولى من حياة زينب، انتهت بطلاقها من زيد وهذا ما يريده الله سبحانه وقدره لحكمة عظيمة سنعرفها بعد تفاصيل قصة الخطبة.

ففي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال:

لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد: **اذهب فاذكرها عليَّ**. فانطلق.

قال: فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها؛ لأن رسول الله ﷺ ذكرها، فوليتها ظهري ونكصت على عقبي، فقلت: أبشري يا زينب!!

ولكن بماذا يبشرها زيد وهو الذي طلقها. لعل زينب تفاجأت بهذا الكلام، ومن زيد!

قال: أبشري، لقد أرسلني رسول الله ﷺ يذكرك، أي يخطبك.

لكن زينب كما قالت عائشة: تعلوها حدة تسرع منها الفيئة وكان هول المفاجأة عليها كبيراً فقالت على الفور:

-ما أنا بصانعة شيئًا حتى أوامر ربي، فقامت إلى مسجدها. ونزل القرآن.

زواج زينب .. وآيات الحجاب

نزل قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾

فجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها دون إذن؛ لأن الله زوجه إياها بدون ولي ولا شاهد.

وأما قوله تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ قال ابن كثير رحمه الله:

إن الذي كان يخفيه هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته، والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس: تزوج امرأة ابنه، وأراد الله إبطال ما كان عليه أهل الجاهلية من التبني.

وكان اسمها برّة فسمّاها زينب، وكان عمرها خمسة وثلاثين حين بنى بها.

وزيادة في تكريمها جعلها الله سببًا لنزول آية الحجاب، إذ إن النبي ﷺ

أولم في عُرسها فأتى القوم فطعموا وخرج بعضهم، وجلس البعض يتحدثون، وهي قد أدارت وجهها للجدار متحرجة منهم، فخرج رسول الله يسلم على نسائه وأنس يتبعه ثم رجع فألقى الستار وتلا قوله تعالى:

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلا مُسْتَئْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ** ﴾

ومن إكرام الله لها وعلامة من علامات النبوة تكثير الطعام في الوليمة التي أقيمت بمناسبة الزواج.

يقول أنس رضي الله عنه:

تزوج رسول الله ﷺ فدخل بأهله، وقال: فصنعت أمي أم سليم حيساً فجعلته في تور، فقالت: يا أنس، اذهب بهذا إلى رسول الله فقل:

بعثت أمي إليك بهذا وهي تقرئك السلام وتقول: هو لك منا قليل يا رسول الله.

قال: فذهبت بها إلى رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، إن أمي تقرئك السلام وتقول: إن هذا لك منا قليل.

قال: **ضعه**، ثم قال: **اذهب فادع لي فلاناً وفلاناً، ومن لقيت، وسمى لي رجالاً**.

قال: فدعوت من سمَّى ومن لقيت.

قال: قلت لأنس: كم كانوا؟ قال: زهاء ثلاثمائة.

وقال: **يا أنس هات التور**.

قال: فدخلوا حتى امتلأت الصفة والحجرة، فقال رسول ﷺ:

ليتحلق عشرة عشرة، وليأكل كل إنسان مما يليه.

قال: فأكلوا حتى شبعوا. قال: فخرجت طائفة ودخلت طائفة حتى أكلوا كلهم.

فقال لي: **يا أنس ارفع**.

قال: فرفعت فما أدري حين وضع كان أكثر أم حين رفعت!!

* * *

زينب في بيت النبي ﷺ

تزوج النبي ﷺ زينب فقال المنافقون في المدينة:

– محمد يحرِّم زواج الوالد بزوج ابنه، ويتزوج زوج ولده زيد..

فنزل الوحي مفنِّداً دعواهم ومكذبًا أقوالهم..

قال تعالى: ﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا** ﴾.

* * *

انتقلت زينب إلى بيت النبي ﷺ واستقبلت السيدة عائشة – رضي الله عنها – العروس الجديدة.. بقلق، فهي من أشد ضرائر عائشة.. شابة جميلة، ذات حسب ونسب.. وكانت تقول:

– لم تكن واحدة من نساء النبي تناحيني [1] غير زينب..

وكان أزواج النبي يعلمن بمنزلة العروس الجديدة وتميزها عليهن بأن الله زوجها من السماء وذكر زواجها في القرآن الكريم، وقد بادرت هي تفاخر بذلك عليهن وتقول:

---

(١) تناحيني: تباريني وتنازعني وتساميني في المنزلة.

– أنا أكرمكن وليّا، وأكرمكن سفيراً، زوجكن أهلكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات.

وكانت زينب وأم سلمة أحب نسوة رسول الله إلى قلبه بعد عائشة، تقول رضي الله عنها:

– كانت أحب نسائه إليه – فيما أحسب – بعدي..

وكان رسول الله ﷺ يطيل المكث عند زينب، فضاقت بذلك عائشة، ففكرت في حيلة تصرفه ﷺ عنها.. فاتفقت مع حفصة وسودة أيتهن دخل الرسول ﷺ عليها إثر انصرافه من عند زينب فلتقل له: أكلت مغافير[1]

وجاء الرسول ﷺ إلى عائشة فقالت: إني أشم رائحة مغافير، أكلت مغافير؟..

وكذلك قالت له حفصة..

ولما مر بسودة قالت له: أأكلت مغافير؟

قال: لا..

قالت: فما هذه الريح..

(١) ثمر حلو كريه الرائحة.

وكان ﷺ لا يطيق الرائحة الكريهة.. فحرم على نفسه من يومه، شرب العسل عند زينب..

فنزل قول الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

فكفّر الرسول ﷺ عن يمينه بعد أن حلف ألا يشرب عسلاً عند زينب..

وكانت زينب – رضي الله عنها- لا تفتأ تسأل رسول الله ﷺ عن كل ما يخص دينها..

دخل عليها يومًا وهو فزع ويقول: **لا إله إلا الله .. ويل للعرب من شر قد اقترب.**

فُتح اليوم من رَدْم يأجوج ومأجوج مثل هذه (وحلَّق بإصبعيه الإبهام والتي تليها).

فقالت زينب: يا رسول الله .. أنهلك وفينا الصالحون..؟

فقال: **نعم إذا كثر الخَبَث.**

وحجت مع النبي ﷺ حجة الوداع، وروت عنه أحاديث في كتب السنّة.

أطولهن يدًا

كانت زينب بنت جحش – رضي الله عنها – خاشعة عابدة منيبة إلى الله تعالى، تحفظ لسانها وجوارحها عن كل ما فيه شبهة إغضاب لله ولرسوله ﷺ، ففي حديث الإفك خاضتْ أختها حمنة بنت جحش فيمن خاض، لكنها قالت لما سألها رسول الله ﷺ عن عائشة:

– يا رسول الله ، أحمي سمعي وبصري، ما علمت إلا خيرًا، وكانت عائشة رضي الله عنها تقدِّر هذا الموقف لزينب.

وكانت تصنع الأشغال بيدها من دبغ وحياكة وتبيعه وتتصدق به، وكان رسول الله ﷺ يقول:

– أسرعكن بي لحوقًا أطولكن يدًا..

فكانت أول من لحق به ﷺ.

وقالت أم سلمة – رضي الله عنها:

– كانت زينب لرسول الله ﷺ محبَّبة، وكان يستكثر منها، وكانت صالحة قوّامة صوامة، وتتصدق من عمل يدها على المساكين..

وقالت عائشة – رضي الله عنها –:

– لقد ذهبت حميدةً متعبدة، مَفْزعَ اليتامى والأرامل..

* * *

وكانت – رحمها الله – تبذل كل ما يأتيها في سبيل الله، بعث إليها الفاروق عطاءً، قدره اثنا عشر ألفًا؛ فوزعته كله في أصحاب الحاجة بعد أن غطته بثوب ولم تنظر إليه. فقالت لها برزة بنت رافع: غفر الله لك يا أم المؤمنين، والله لقد كان لنا في هذا حق.

فقالت: فلكم ما تحت الثوب، فوجدت خمسة وثمانين درهماً ثم رفعت يدها إلى السماء: اللهم لا يدركني هذا المال في قابل[1]، فإنه فتنة..

فبلغ عمر ذلك فقال: هذه امرأة يراد بها خير، فوقف على بابها وأرسل بالسلام وقال:

قد بلغني ما فرقت، فأرسل إليها بألف درهم يستنفقها، فوزعتها أيضاً.

الله أكبر ما أعظمها وأكرمها، لقد حق لنساء المسلمين أن يقتدين بأمهن العظيمة، ويخففن الإنفاق على الزينة والثياب وغير ذلك، وينفقن مما أعطاهن الله، عسى أن يكفر من مجالس الغيبة والقيل والقال، فهل من مدكر!؟!

(١) يعني لا يبقى عندها حتى العام القادم.

وحين احتضرت قالت:

- إني قد أعددت كفني، وإن عمر أمير المؤمنين سيبعث إليَّ بكفن فتصدقوا بأحدهما..

ولم ينزل أحد قبرها إلا من محارمها بأمر الفاروق، وقام بغسلها وتكفينها زوجات النبي ﷺ ونزل قبرها محمد بن عبدالله بن جحش وأسامة بن طلحة بن عبيدالله ابن أختها حمنة.

رحمها الله.. وغفر لها .. ورضي عنها، وعن أمهات المؤمنين.

* * *

المحتويات

الموضوع	الصفحة
سيدة بني المصطلق	٧
زواج وكرامة	١٠
جويرية مع الرسول	١٢
جويرية بعد الرسول	١٥
وفاتها	١٦
زينب بنت جحش	١٧
عادة جاهلية	١٩
حِبُّ رسول الله	٢١
خطبة رسول الله ﷺ من زينب والحكمة في ذلك	٢٨
زواج زينب وآيات الحجاب	٢٩
زينب في بيت النبي	٣٢
أطولهن يداً	٣٥
المحتويات	٣٩

(01) 4983392